

النفخة الالهية

بقلم الأنبا بيشوى

لابد أن يكون مرجعنا هو نصوص الكتاب المقدس في بحثنا حول موضوع النفخة التي نفخها الله حينما خلق آدم وكذلك النفخة التي نفخها السيد المسيح في عشية قيامته من الأموات والتي تخص التلاميذ الرسل وكانت بخصوص إرسالهم ومغفرتهم للخطايا بالروح القدس إذ قال "أَقْبَلُوا رُوحاً قُدْساً" (يو ٢٠: ٢٢).

النفخة في أنف آدم هي النفس الحية والروح العاقل الخالد

يقول الكتاب: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً" (تك ٢: ٧).

لكي نفهم ما هي هذه النفخة حسب النص الكتابي سوف نجد في سفر أيوب في بداية كلام أليهو بن برخائيل البوزي الذي كان الله موافقاً على كلامه مع توبيخه لأيوب وأصحابه الثلاثة الذين كانوا أكبر سناً من أليهو، أنه نكر ما يلي:

"فَحَمِي غَضِبُ أَلِيهَوِ بْنِ بَرَحْيَيْلَ البُوزِيِّ مِنْ عَشِيرَةِ رَامٍ. عَلَى أَيُّوبِ حَمِي غَضِبُهُ لِأَنَّهُ حَسَبَ نَفْسَهُ أَبْرَ مِنْ اللَّهِ. وَعَلَى أَصْحَابِهِ الثَّلَاثَةِ حَمِي غَضِبُهُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا جَوَاباً وَاسْتَدْنَبُوا أَيُّوبَ. وَكَانَ أَلِيهَوُ قَدْ صَبَرَ عَلَى أَيُّوبَ بِالكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَيَّاماً. فَلَمَّا رَأَى أَلِيهَوُ أَنَّهُ لَا جَوَابَ فِي أَفْوَاهِ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ حَمِي غَضِبُهُ. فَقَالَ أَلِيهَوُ بْنُ بَرَحْيَيْلَ البُوزِيِّ: أَنَا صَغِيرٌ فِي الأَيَّامِ وَأَنْتُمْ شَيْوْخٌ لِأَجْلِ ذَلِكَ خِفْتُ وَخَشِيتُ أَنْ أُبَدِيَ لَكُمْ رَأْيِي. قُلْتُ: الأَيَّامُ تَتَكَلَّمُ وَكَثْرَةُ السِّنِينَ تُظْهِرُ حِكْمَةً. وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحاً وَنَسَمَةَ القَدِيرِ تُعْقِلُهُمْ" (أي ٣٢: ٢-٨).

هذه العبارة الأخيرة كان أليهو يعنى بها أن الروح العاقل بالرغم من أنه شاب إلا أنه بإرشاد إلهي يمكنه أن يتكلم بما هو حق وهو ربط الروح العاقل في هذا بنسمة القدير التي أعطاها الله لآدم فقال "وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحاً وَنَسَمَةَ القَدِيرِ تُعْقِلُهُمْ" أي أن كثرة السنين ليست شرطاً.

أليهو قال: "فِي النَّاسِ رُوحاً وَنَسَمَةَ القَدِيرِ تُعْقِلُهُمْ" (أي ٣٢: ٨).

وعاد أليهو بعد ذلك في الإصحاح التالي فقال: "رُوحُ اللَّهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ القَدِيرِ أَحْيَيْتَنِي" (أي ٣٣: ٤).

فلاحظ أنه تكلم عن "نسمة القدير" مرتين مرة قال "فِي النَّاسِ رُوحاً وَنَسَمَةَ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ" (أي ٣٢: ٨) وهو في هذا يتكلم عن الروح العاقل، وفي المرة الثانية قال "رُوحُ اللَّهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةَ الْقَدِيرِ أَحْيَيْتَنِي" (أي ٣٣: ٤) وفي هذا يقصد النفس الحية الموجودة في الكيان البشري، لكن في المرتين يتكلم عن "نسمة القدير" أي نفخة الله في أنف آدم.

معنى ذلك أن نسمة القدير لها مفعولان: الواحدة أنها جعلت في آدم روحاً عاقلاً والثانية أنها جعلت في جسده نفساً حية.

هذه الحقائق أكدها معلمنا بولس الرسول بنص كتابي في قوله: "وَاللهُ السَّلَامُ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَتُحْفَظُ رُوحَكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلَا لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ تس ٥: ٢٣). هذا التكوين الثلاثي (الروح والنفس والجسد) معروف باليونانية بتعبير Trichotomy (تريخوتومي). وكان مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث في تعليمه كثيراً ما يشير إلى هذه الآية؛ ليؤكد أن الإنسان مكوّن من روح عاقل ونفس وجسد (النفس يقصد بها حياة الجسد). إن حياة الجسد هذه تنتهي فاعليتها بعد أن يموت الجسد لكن الروح العاقل خالد لا يموت.

نعود فنقول أن نسمة الحياة التي نفخها الله في أنف آدم أعطته روح عاقل خالد "فِي النَّاسِ رُوحاً وَنَسَمَةَ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ" (أي ٣٢: ٨) ، وليس هذا فقط لكن نسمة القدير أيضاً أحيته "وَنَسَمَةَ الْقَدِيرِ أَحْيَيْتَنِي" (أي ٣٣: ٤) أي أعطته نفساً حية للطين الذي جبل الرب منه آدم كما هو مكتوب "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ" (تك ٢: ٧).

الروح القدس شريك في الخلق

شيء جميل جداً أن يذكر أن الروح القدس إشتراك في خلقه الإنسان: "رُوحُ اللَّهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةَ الْقَدِيرِ أَحْيَيْتَنِي" (أي ٣٣: ٤). نحن نعرف أن الله خلق كل الخليقة بكلمته، فيقول معلمنا يوحنا الإنجيلي "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يو ١: ٣) يقول معلمنا بولس الرسول "الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ" (كو ١: ١٦) ويقول أيضاً "لَأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الأَشْيَاءِ" (رو ١١: ٣٦).

وقد ذكرت عبارة "نسمة القدير" أيضاً في خلقة الملائكة فقيل في المزمور: "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسْمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا" (مز ٣٣: ٦). عبارة "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ" تشير إلى الله الكلمة أي الابن، و"نسمة فمه" المقصود به الروح القدس.

نحن لا بد أن نؤكد أن الروح القدس داخل في النفخة التي نفخها الله في أنف آدم. فكل قدرة وكل طاقة إلهية حسب أقوال الآباء لها أصلها في الآب وتتحقق من خلال الابن بواسطة الروح القدس.

قال القديس غريغوريوس أسقف نيصص:

"Every operation which extends from God to the Creation, and is named according to our variable conceptions of its origin from the Father, and proceeds through the Son and is perfected in the Holy Spirit".¹

"كل عملية تأتي من الله إلى الخليقة، وتسمى بحسب فهمنا المتنوع لها. لها أصلها من الآب وتأتي إلينا من خلال الابن وتكتمل في الروح القدس."

قال القديس أناسيوس:

"The Father creates all things through the Word in the Holy Spirit".²

"الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة في الروح القدس".

وقال أيضاً:

"The Father does all things through the Word in the Holy Spirit".³

"الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة في الروح القدس".

ويوجد نص جميل للقديس أناسيوس يوضح كيفية منح الحياة من الله للخليقة قاله في حديثه عن ألوهية الروح القدس:

"It is clear that the Spirit is not a creature, but takes place in the act of creation. For **the Father creates all things through the Word in the Spirit**; for where the Word is, there is the Spirit also, and the things which are created through the Word have their vital strength out of the Spirit from the Word. Thus it is written in the thirty-second Psalm: "By the Word of the Lord the heavens were established, and by the spirit of His mouth is all their power."⁴

"من الواضح أن الروح (القدس) ليس مخلوقاً، ولكنه يشترك (له دوره) في عملية الخلق. لأن الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة في الروح (القدس)؛ لأنه حينما يوجد الكلمة، فهناك الروح أيضاً، والأشياء

¹ N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. V, Gregory of Nyssa, Eerdmans Pub. 1978, On "Not Three Gods", p. 334.

² Shapland, *Concerning The Holy Spirit*, 3rd letter to Serapion, chapter 5, 174-175.

³ Shapland, *Concerning The Holy Spirit*, 3rd letter to Serapion, chapter 28, 134-135.

⁴ *The Spirit & the Church: Antiquity*, Stanely M. Burgess, Hendricksons Publishers, 1984, p.118.

التي خلقت من خلال الكلمة تأخذ قوتها الحيوية (خارجة) من الروح من الكلمة. لذلك كُتِبَ في المزمور الثاني والثلاثون "بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل قواتها".
إن هذه النفخة لها أصلها من الآب، وعملية الخلق إشتراك فيها الابن والروح القدس. فالابن خلق آدم والروح القدس أيضاً خلق آدم.

النفخة ليست الروح القدس

النفخة في آدم إشتراك فيها أيضاً الروح القدس لكن هذا لا يعنى أن النفخة هي الروح القدس فيصير الروح القدس هو روح آدم. والآباء القديسون يؤكدون ذلك فمثلاً القديس أغسطينوس الذى تنبه لهذه النقطة قال: "We ought to understand this passage so that we do not take the words "he breathed into him the breath of life, and man became a living soul" to mean that a part, as it were, of the nature of God was turned into the soul of man... The nature of God is not mutable, does not err and is not corrupted by the stains of vices and sins... Scripture clearly says that the soul was made by the almighty God and that it is therefore not a part of God or the nature of God."⁵

"علينا أن نفهم هذه الفقرة حتى لا نأخذ عبارة "نفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية" على أنها تعنى أن جزءاً، كما لو كان، من طبيعة الله قد تحول إلى نفس الإنسان... إن طبيعة الله ليست متغيرة ولا تخطئ وليست فاسدة بوصمة الشر والخطية. فالأسفار تقول بوضوح أن النفس مخلوقة بواسطة الله القدير فهي بالتالى ليست جزءاً من الله أو من طبيعة الله".

كما يميز القديس إيرينيئوس بوضوح بين النفخة التي نفخها الله في أنف آدم نسمة الحياة وبين الروح القدس معطى الحياة، فيقول:

"The breath of life which also rendered man an animated being, is one thing, and the life-giving Sprit is another."⁶

"إن نسمة الحياة التي جعلت الإنسان أيضاً كائناً حياً هي شئ، والروح معطى الحياة هو آخر".

إن الروح القدس هو رازق الحياة أو معطى الحياة وفي قانون الإيمان نقول عنه "الرب المحي..". لكن النفخة هي من الآب والابن والروح القدس كما قلنا، ونتج عنها أنه صار للطين الذى تشكّل في البداية روح عاقل ونفس حية فنتج بذلك كيان آدم أنه كائن حى عاقل، مكون من جسد دخلت له الحياة أي النفس

⁵ Ancient Christian Commentary on Scripture, Old Testament, Vol 1, InterVarsity Press, Downers Grove, Illinois, 2001, p. 52, Quoting Augustine, *Two Books on Genesis Against the Manichaeans* 2.8.11.5.

⁶ Ante Nicene Fathers, Vol I, *Irenaeus Against Heresies*, chapter 12, par, 2, p. 537.

(الأمور التي تشكل مظاهر الحياة للجسد). فالجسد لم يستمر طيناً لكن صارت له حياة أى جسد له نفس وأيضاً متحد به روح عاقل.

الروح القدس له أقنومه الخاص

نفس آدم الحية وروحه العاقل هما هبة من الروح القدس لكن لا نفسه ولا روحه العاقل هو الروح القدس. ولا يمكن نقبل أن يتناول أحد ويقول أن روح آدم هو الروح القدس وإلا صار آدم هو الروح القدس وفي هذه الحالة يكون آدم هو أقنوم رابع!!! لأن الروح القدس له شخصه الخاص به ولم يتحول إلى تعدد في الأشخاص!

الآب له شخصه (بروسوبون) الخاص، والابن له شخصه الخاص و"الكلمة كان نحو الله" (يو ١ : ١). فكلمة شخص باليونانية "بروسوبون" وتعنى "نحو وجه" ("بروس" بمعنى "نحو" و "أوبس" بمعنى "وجه"). الابن متجه نحو الآب لأن الآب له شخصه الخاص. لقد أجمع الآباء على أن الثالث ثلاث أقانيم ولكل أقنوم له شخصه الخاص. الذى تجسد هو أقنوم الكلمة بنفس شخصه هو شخصياً تشخصنت الطبيعة البشرية فيه بنفس شخصه "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَالْأَبَدِ" (عب ١٣ : ٨). الذى ولد من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته هو نفسه الذى ولد من العذراء في ملء الزمان بحسب ناسوته. وقد شرح القديس كيرلس هذا الأمر بإستفاضة وقال أن الله الكلمة له ميلادان، كما قال أنه لم يتخذ شخصاً من البشر. بمعنى أنه ليس هناك تعدد أشخاص في أي أقنوم من الثلاث أقانيم. الكلمة هو الوحيد من الأقانيم الثلاثة الذى تجسد ومات بحسب الجسد بالتدبير الخلاصى. هو الوحيد الذى كان من الممكن أن يتجسد ويموت. إن كتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس يشرح أن الكلمة بحسب لاهوته لا يمكن أن يموت لذلك كان يجب أن يتخذ طبيعة بشرية لكي يقدم بها الذبيحة الخلاصية التى يكفر بها عن خطايا البشرية ليوفى العدل الإلهى حقه.

هل نحن نشترك فى حياة الله بالنفخة

إن حياة الله هى صفة من صفات الجوهر الإلهى.

إن حياة الله تخص الله وحده وهى غير مخلوقة. أما الحياة الأبدية فهى عطية بإرادة الله فهى مخلوقة. وهناك فرق بين ما يخص الله فى جوهره، وبين ما يمنح كعطية بمقتضى القصد والنعمة (أنظر ٢تى ١: ٩).

البعض يقولون أن الله أعطى آدم فى النفخة الروح القدس وليس روحاً بشرياً. معنى هذا أن روح آدم هو الروح القدس وبهذا يكون آدم هو الروح القدس!! هذا كلام لا يقبله أحد. لكن إلى جوار النفس الحية والروح العاقل الخالد الذي أعطاه الله لآدم بالنفخة أعطاه أيضاً النعمة بالروح القدس وهذه النعمة فارقه بعضها بعدما أكل من شجرة معرفة الخير والشر. ما فارقه من النعمة فارقه روحه وفارق جسده أيضاً. والنعمة هى طاقة إلهية. الله لم يعط آدم جوهره الإلهي، لكن أعطاه النعمة التي كانت تحمل معها الحياة الأبدية.

مواهب الروح القدس قبل وبعد السقوط

الروح القدس أعطى لآدم بعض المواهب مثل الإستتارة، مثل أن تكون له شركة روحية مع الآب والابن كما يقول يوحنا في رسالته الأولى "وَأَمَّا شَرِكُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الْآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١يو ١: ٣). هذه الشركة الروحية التي نقولها للشعب الحاضر في صلوات الكنيسة في نص البركة الرسولية "شركة وموهبة وعطية الروح القدس تكون مع جميعكم". لقد أعطاه الروح القدس أيضاً معرفة تمثل موهبة العلم التي تكلم عنها معلمنا بولس الرسول حينما ذكر مواهب الروح القدس (أنظر ١كو ١٢)، لذلك نقول في القداس الغريغورى "أعطيتنى علم معرفتك". بهذه المعرفة إستطاع أن يسمى كل الخليقة الموجودة على الأرض وقد دعيت بالأسماء التي سماها بها آدم، وقبلها الله لأنه هو الذي أعطاه أن يسميها. بلا شك كان آدم قبل السقوط له مواهب من مواهب الروح القدس، ربما كان له ما يشبه موهبة النبوة إلا أن هذه الموهبة لم تعطه العصمة. من أجمل المواهب موهبة الشركة الروحية مع الله التي تكلم عنها يوحنا في رسالته الأولى كما قلنا، وقال عنها معلمنا بولس الرسول "بِعَمَّةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ" (٢كو ١٣: ١٤). بلا شك كان آدم وحواء يتمتعان بحياة الشركة مع الله في الفردوس.

لقد فقد الإنسان بعض الأمور بسبب السقوط لكن الله لم يسمح أن يفقد الإنسان كل شئ بالتمام، لئلا يصل إلى درجة أنه لا تكون له إمكانية أن يشترك إلى الخلاص. إن يعقوب أب الإباء على فراش الموت قال

"خَلَّاصِكَ انْتَهَرْتُ يَا رَبُّ" (تك ٤٩ : ١٨). وكثيراً ما تردد مفهوم الاشتياق إلى الخلاص في المزامير ومثال لذلك: "أَرِنَا يَا رَبُّ رَحْمَتَكَ وَأَعْطِنَا خَلَّاصَكَ" (مز ٨٥ : ٧)، و"تَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى خَلَّاصِكَ" (مز ١١٩ : ٨١)، و"كَلَّتْ عَيْنَايَ اشْتِيَاقًا إِلَى خَلَّاصِكَ" (مز ١١٩ : ١٢٣).

أيضاً مكتوب "وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللَّهِ وَلَمْ يُوجَدْ لِأَنَّ اللَّهَ أَخَذَهُ" (تك ٥ : ٢٤). وهنا يتضح أنه كانت هناك بعض النعم الروحية التي كانت قد أعطيت لآدم قبل السقوط وجاهد القديسون بعد ذلك في السعي نحو العودة الجزئية إلى أحضان الله ونالوها. لقد أشرق الله على أخنوخ بضياء من معرفته.

كذلك كتب "وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي الرَّبِّ" (تك ٦ : ٨) "وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلِّ لَأَتِي بِإِيَّاكَ رَائِيَةً بَارًّا لَدَيَّ فِي هَذَا الْجِيلِ" (تك ٧ : ١). وقال معلمنا بولس الرسول "بِالِإِيمَانِ نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تَرُ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكَأً لِحَلَاصِ بَيْتِهِ، فِيهِ دَانَ الْعَالَمُ، وَصَارَ وَاثِرًا لِلْبِرِّ الَّذِي حَسَبَ الْإِيمَانَ" (عب ١١ : ٧).

وقد ذكر معلمنا بولس الرسول كثير من رجال الإيمان فقال مثلاً "بِالِإِيمَانِ يَعْقُوبُ عِنْدَ مَوْتِهِ بَارَكَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ ابْنَيْ يُوسُفَ، وَسَجَدَ عَلَى رَأْسِ عَصَاهُ" (عب ١١ : ٢١) "بِالِإِيمَانِ مُوسَى لَمَّا كَبِرَ أَبِي أَنْ يُدْعَى ابْنُ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، مُفْضِلاً بِالْآخَرَى أَنْ يُدَلَّ مَعَ شَعْبِ اللَّهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقَتِي بِالْخَطِيئَةِ" (عب ١١ : ٢٤-٢٥). "فِي الْإِيمَانِ مَاتَ هَوَلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يِنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقْرَبُوا بِأَنْهَمُ غُرَبَاءَ وَنُزَلَاءَ عَلَى الْأَرْضِ. فَإِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا يُظْهِرُونَ أَنَّهَمْ يَطْلُبُونَ وَطَنًا. فَلَوْ ذَكَرُوا ذَلِكَ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، لَكَانَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلرُّجُوعِ. وَلَكِنْ الْآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيَّ سَمَاوِيًّا. لِذَلِكَ لَا يَسْتَحِي بِهِمُ اللَّهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهُهُمْ، لِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً" (عب ١١ : ١٣-١٦). والله نفسه يقول "وَالْبَارُّ بِإِيمَانِهِ يَحْيَا" (حب ٢ : ٤) ويقتبسها معلمنا بولس الرسول فيقول عن علاقة الإنسان بالله "أَمَّا الْبَارُّ فَبِالِإِيمَانِ يَحْيَا، وَإِنْ ارْتَدَّ لَا تُسْرُ بِهِ نَفْسِي" (عب ١٠ : ٣٨؛ أنظر رو ١ : ١٧؛ وغل ٣ : ١١).

لما سقط الإنسان إستمرت بعض من النعم والمواهب والعطايا في إمكانية أن يتمتع بها أو يمارسها لو كان يشتاق إلى الخلاص، لكنها لا تساوي عطايا الروح القدس في العهد الجديد مثل ثمار الروح القدس التسعة (أنظر غل ٥ : ٢٢، ٢٣) ومسحة الروح القدس في العهد الجديد التي قيل عنها "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُوسِ وَتَعَلَّمُونَ كُلَّ شَيْءٍ" (١ يو ٢ : ٢٠).

عمل الروح القدس في العهد القديم

لم يتوقف روح الله عن أن يعمل في البشر بل كان له دور واضح في العهد القديم. فيقول معلمنا بولس الرسول "الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ" (عب ١ : ١).

على سبيل المثال كتب "وَلِشَيْتٍ أَيْضًا وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسْمَهُ أُنُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتَدَأَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ" (تك ٤ : ٢٦). من الذى حرك القلوب لتدعو باسم الرب؟ إنه روح الرب.

ثم ظهرت شخصية مثل ملكى صادق الذى كان كاهناً لله العلى يقدم الخبز والخمر (أنظر تك ١٤ : ١٨). بل إن الروح القدس كان يسكن في الأبرار حتى أن داود بعدما أخطأ صرخ قائلاً "روحك القدوس لا تنزعه منى" (مز ٥٠).

إن الروح القدس هو الناطق في الأنبياء، وفي الآباء البطارقة (إبراهيم وإسحق ويعقوب)، وفي الأبرار (نوح)، وفي رؤساء الكهنة، وفي قادة الشعب (يشوع أنظر عدد ٢٧ : ١٨)، وهو ماسح الملوك. لكن الروح القدس كان في العهد القديم يعمل في أشخاص معينين وكان حلوله أحياناً مؤقتاً وليس بالضرورة مدى الحياة ولغرض محدد.

مسحة النبوة:

"فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي سَحَابَةٍ وَتَكَلَّمَ مَعَهُ وَأَخَذَ مِنَ الرُّوحِ الَّذِي عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَى السَّبْعِينَ رَجُلًا الشُّيُوعَ. فَلَمَّا حَلَّتْ عَلَيْهِمُ الرُّوحُ تَنَبَّأُوا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَزِيدُوا" (عد ١١ : ٢٥).

أمر الرب إيليا أن يمسح أليشع نبياً فقال الرب: "امسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبياً عوضاً عنك" (امل ١٩ : ١٦)

يقول حزقيال النبي: "فَحَمَلَنِي الرُّوحُ وَأَخَذَنِي، فَذَهَبْتُ مَرًّا فِي حَرَارَةِ رُوحِي، وَيَدُ الرَّبِّ كَانَتْ شَدِيدَةً عَلَيَّ" (حز ٣ : ١٤).

وبهذه المسحة كتب أنبياء العهد القديم الأسفار القانونية، وقال معلمنا بطرس الرسول "لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط ١ : ٢١)، وقال معلمنا بولس الرسول "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبَرِّ، لِكَيْ يَكُونَ انْسَانُ اللَّهِ كَامِلًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢تي ٣ : ١٦، ١٧).

مسحة الملك:

قال صموئيل النبي لشاول بعد أن مسحه ملكاً "فَيَجِلُّ عَلَيْكَ رُوحُ الرَّبِّ فَتَتَنَبَّأُ مَعَهُمْ وَتَتَحَوَّلُ إِلَى رَجُلٍ آخَرَ" (١ صم ١٠: ٦) "وَكَانَ عِنْدَمَا أَدَارَ كَتِفَهُ لِيَذْهَبَ مِنْ عِنْدِ صَمُوئِيلَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ قَلْباً آخَرَ" (١ صم ١٠: ٩). ثم لما عاند واستكبر وخالف أوامر الرب قيل "وَذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ، وَبَغَتْهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ" (١ صم ١٦: ١٤)

مسح داود: لما أتى من بين الغنم قال الرب لصموئيل "قُمْ امسحه لأن هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومَسَحَهُ فِي وَسْطِ إِخْوَتِهِ. وَحَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى دَاوُدَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِداً (١ صم ١٦: ١٢، ١٣).
مسح سليمان (١ مل ١: ٣٤)، مسح يواش (٢أى ٢٢: ١١)، مسح حزائيل وياهو (١ مل ١٩).
مسحة الكهنوت:

قال الرب لموسى "وَتُلْبَسُ هَارُونَ أَخَاكَ إِيَّاهَا وَبَنِيهِ مَعَهُ وَتَمْسَحُهُمْ وَتَمَلَأُ أَيْدِيَهُمْ وَتَقَدِّسُهُمْ لِيَكُونُوا لِي" (خر ٢٨: ٤١؛ أنظر أيضاً خر ٤٠: ١٣؛ لا ٨: ١١). ثم مسح بنى هارون (خر ٤٠: ١٥).

حلول مؤقت لغرض:

"فَحَلَّ الرُّوحُ عَلَى عَمَاسَايَ رَأْسِ التَّوَالِثِ فَقَالَ : لَكَ نَحْنُ يَا دَاوُدُ، وَمَعَكَ نَحْنُ يَا ابْنَ يَسَّى. سَلَامٌ سَلَامٌ لَكَ، وَسَلَامٌ لِمَسَاعِدِكَ. لِأَنَّ إِلَهَكَ مُعِينُكَ. فَقَبِلَهُمْ دَاوُدُ وَجَعَلَهُمْ رُؤُوسَ الْجَبُوشِ" (١ أخبار ١٢: ١٨).

حل على شمشون (أنظر قض ١٤ و ١٥)، حل على شاول (١ صم ١٠: ١٠؛ ١ صم ١١: ٦)، ملأ بصلئيل لإختراع مخترعات للعمل في خيمة الاجتماع (خر ٣١: ٢-٥)، ونطق على فم بلعام ابن بعور (أنظر عدد ٢٢-٢٤)، حل على قضاة الشعب (أنظر قض ٣: ١٠؛ قض ٦: ٣٤؛ قض ١١: ٢٩).

يقود إلى الإيمان

عمل روح الله في أهل السفينة التي هرب فيها يونان فآمنوا بالله، وفي أهل نينوى، وفي نعمان السرياني، ونبوخذ نصر الملك، وفي المجوس الذين سجدوا للسيد المسيح إلخ.

وحكى بولس الرسول حديث السيد المسيح معه في الطريق إلى دمشق وتحذيره من مقاومة تبكيت الروح القدس (المناسخ): "فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الْأَرْضِ سَمِعْتُ صَوْتًا يَكَلِّمُنِي بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ" (أع ٢٦: ١٤).

عمل الروح القدس في العهد الجديد

حلول الروح القدس على العذراء مريم في تجسد الكلمة كقول الملاك جبرائيل "الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَفُوَّةُ الْعَلِيِّ تَطْلُكُ فَلَذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمُؤَلُّودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ" (لو ١: ٣٥).

نفخة السيد المسيح للرسول في يوم قيامته

"وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهُوَ أَوَّلُ الْأُسْبُوعِ وَكَانَتِ الْأَبْوَابُ مُعَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ لَهُمْ: سَلَامٌ لَكُمْ. وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدِيهِ وَجَنْبَهُ فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: سَلَامٌ لَكُمْ. كَمَا أُرْسَلَنِي الْآبُ أُرْسَلُكُمْ أَنَا. وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: أَقْبَلُوا رُوحاً قُدْساً. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرْ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكْتُمْ" (يو ٢٠: ١٩ - ٢٣).

لقد أعطى الرب هذه النفخة للآباء الرسل في عشية يوم قيامته لينالوا الكهنوت فيغفروا الخطايا.

يقول القديس كيرلس الكبير:

"بعد أن كرم الرسل القديسين وميزهم بامتياز الرسولية المجيد وأقامهم خداماً وكهنة للمذبح الإلهي، على الفور قدسهم بإعطاء روحه لهم بعلامة منظورة أي "نفخته"... ما فعله الرب بعد قيامته يعلن لنا أن نعمة الروح تُعطى لكل الذين شرطتهم ليكونوا رسلاً لله".^٧

وأضاف القديس كيرلس: "الكلمة الذي في الآب لا يمكنه أن يخطئ وما يفعله إنما يفعله بكل صلاح فهو الذي دبر أن الذين منحوا الروح القدس وهو الرب والله، تصبح لهم القوة على أن يغفروا ويمسكوا الخطايا لأن الروح القدس الساكن فيهم هو الذي يغفر ويمسك، حسب إرادته رغم أن العمل يتم بوسيلة بشرية".^٨

^٧ شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندري، مؤسسة القديس أنطونيوس، المجلد الثاني، صفحة ٥٠٤.

حلول الروح القدس في يوم العنصرة

يجب أن يُنظر إلى حلول الروح القدس في يوم العنصرة على أنه وضع مميز.

إن حلول الروح القدس يوم العنصرة كان لكل المؤمنين وليس فقط للآباء الرسل، لكنه أعطى قوة خاصة للآباء الرسل والإنجيليين كما قال لهم السيد المسيح قبل صعوده مباشرة: "لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهَدَاءَ فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ" (أع ١: ٨)، أي أنه أعطاهم القوة على الشهادة. كما أنه أعطى للآباء الرسل والإنجيليين أيضاً حكمة يتكلمون بها كما سبق أن وعدهم "لَأَتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَمَا وَحِكْمَةً لَا يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا" (لو ٢١: ١٥)، وأعطاهم مواهب خاصة مثل موهبة الوحي في كتابة أسفار الكتاب المقدس التي شهدت لها الكنسية الجامعة. في يوم العنصرة أيضاً أعطاهم موهبة التكلم بالأسنة لأنها كانت ضرورية للكراسة بالإنجيل في العالم كله، والتبشير بإسمه القدوس في المسكونة كلها.

الروح القدس في العهد الجديد أعطى مواهب وكان يوزعها لكل واحد حسب قصده، فيقول معلمنا بولس الرسول: "فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدًا. وَأَنْوَاعُ خِدْمٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدًا. وَأَنْوَاعُ أَعْمَالٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَاحِدًا الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ. فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلَامٌ حِكْمَةٍ. وَلِآخَرَ كَلَامٌ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلِآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلِآخَرَ عَمَلٌ قُوَاتٍ وَلِآخَرَ نُبُوَّةٌ وَلِآخَرَ تَمْيِيزُ الْأَرْوَاحِ وَلِآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ وَلِآخَرَ تَرْجَمَةٌ أَلْسِنَةٍ. وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ" (١ كو ١٢: ٤-١١). وهذا يدل على أن أقنوم الروح القدس لما يحل لا يمنح جوهره بل يمنح مواهب وعطايا مقسمة وجوهر الروح القدس لا ينقسم لأن "الروح واحد".

إن الأقنوم يحل ويسكن في المؤمنين، ولكنه لا يتحد إتحاداً أقنومياً بمن يحل عليهم كما يدعى أصحاب بدعة تأليه الإنسان.

^١ نفس المرجع صفحة ٥١٠.

وعبارة "قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ" تبيّن أن الروح القدس كان يوزع المواهب بقصد معين فمن الممكن مثلاً أن يعطى واحد السنة أكثر من غيره مثلما قال معلمنا بولس الرسول "أَشْكُرُ إِلَهِي أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِالسَّنَةِ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِكُمْ" (١ كو ١٤ : ١٨). فحتى الموهبة الواحدة حينما تعطى لأكثر من شخص لا تكون بالضرورة بنفس المساواة. ممكن أن يعطى واحد موهبة شفاء الأمراض لكن بغزارة شديدة جداً لدرجة أن تصل إلى إقامة الأموات، ويعطى آخر نفس الموهبة لكن بقدر أقل، وهكذا باقى المواهب التي تكلم عنها معلمنا بولس الرسول.

الروح القدس في العهد الجديد يعطى ثباتاً في المسيح لذلك نسميه روح التثبيت فيقول معلمنا يوحنا الرسول "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُوسِ وَتَعَلَّمُونَ كُلَّ شَيْءٍ" (١ يو ٢ : ٢٠) "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تَعَلَّمْتُمْ هَذِهِ الْمَسْحَةَ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ حَقٌّ وَلَيْسَتْ كَذِبًا. كَمَا عَلَّمْتَكُمْ تَثْبُتُونَ فِيهِ. وَالآنَ أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، اثْبُتُوا فِيهِ، حَتَّى إِذَا أَظْهَرَ يَكُونُ لَنَا ثِقَةً، وَلَا نَحْبَلُ مِنْهُ فِي مَجِيئِهِ" (١ يو ٢ : ٢٧، ٢٨).

هذه المسحة هي مسحة الميرون في سر التثبيت التي ننال بها نعمة الروح القدس بعد المعمودية. الذى حينما يسكن فينا ولا نحزنه يثمر ثماراً روحية: "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ، طَوْلٌ أَنَاةٌ لُطْفٌ صَلَاحٌ، إِيمَانٌ. وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدٌّ أَمْثَالٍ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ" (غل ٥ : ٢٢-٢٣).

فليعطنا الروح القدس، بصلوات قداسة البابا الأنبا تواضروس الثانى، فهماً لأقوال الله وإستتارة، وليحفظنا من حيل المضاد الذى يريد ان يضل أولاد الله عن الإيمان كما أعلن معلمنا بولس الرسول: "وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحاً: إِنَّهُ فِي الْأَزْمِنَةِ الْأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الْإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحاً مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينٍ" (١ تي ٤ : ١).